

أنا وأنت على الطريق الإجهاض في الهند

لفت انتباهي مؤخراً سيدتي خبر قرأته في إحدى الصحف العربية تحت عنوان: العثور على سبعة عشر جنينا في النفايات في نيودلهي الهند. صُغت لهذا الخبر ونحن صديقاتي نعيش في القرن الحادي والعشرين الذي صار مميّزا بالمحافظة على حقوق الإنسان وبالأخص الطفل، وبالرقى، والحضارة والتقدم. فتعالى معي سيدتي نستمع إلى ما جاء فيه:

أعلنت الشرطة الهندية عن العثور على سبعة عشر جنيناً ، غالبيتهم من الإناث في النفايات بالهند. وذكرت قناة نيودلهي تي في الهندية أنه عثر على ستة عشر جنيناً غالبيتهم من الإناث، داخل أجرار بلاستيكية في النفايات قرب دار للحضانة في مقاطعة كيشانغام في ولاية بيهار الهندية. فيما عثر على جنين آخر بين أكوام من النفايات في بلدة مظربور. وأوضحت الشرطة أن أعمار الأجنة تتراوح بين أربعة وستة أشهر وجميعها كانت داخل أوعية بلاستيكية مع مياه كيميائية. إلى هنا ينتهي الخبر.

نعم نقف مندهشات من هكذا خبر في هذا القرن بالذات قرن التقدم والتطور والمساواة والتحرر. أليس كذلك؟ ترى ما هو السبب وراء ذلك؟ ولماذا يتخلى الوالدان عن طفلتها التي هي ثمرة زواجهما وحبهما؟ هل لأنها أنثى؟ وهما يريدان ذكراً يحمل اسم العائلة؟ تذكرني هذه الاعتداءات على الإناث بزمان الجاهلية حين كان يلجأ الأهل إلى وأد الإناث وهن أحياء فور ولادتهن ليس لأي سبب سوى لأنهن بنات. لكن عليك أن تلاحظي معي بأن هذا كان يحدث في الجاهلية يا سيدتي وليس في القرن الحادي والعشرين.

ثم ماذا عن وضع الأطفال الإناث في الصين؟ أليس هنّ في خطر كبير أيضاً؟ إذ قد سمعت مسبقاً عن الكثير من الزوجات اللاتي يقومون بالتخلص من الجنين حالما يعرفون أن الجنين هو أنثى. ويعزى سبب فعلهم ذلك إلى أن الحكومة لا تسمح لهم بالإنجاب لأكثر من طفل واحد وعليه فإذا حدث وكان الطفل أنثى فلن تحمل اسم العائلة حين تكبر. ولكيلا يندثر اسم العائلة يبقين الصبي ويتخلصن من البنت. وهذا يحدث كثيراً بين العائلات وتكون الأنثى هي الضحية. فتموت وهي بعد جنيناً. لكن إذا تابع البعض من الصينيين السير في هذا المنحى والتخلص من الجنين الأنثى فسيأتي وقت لن يكون هناك فتيات للزواج والإنجاب.

لكن هل فكر الزوجان اللذان يتصرّفان على هذه الشاكلة بأطفالهم بأنّ القضاء على الجنين هو قتل بحد ذاته؟ أجل هل يعلم الزوج والزوجة بأنهما يقضيان على عطية الله وهبته ونعمته لهما؟ وبالتالي فهما سيواجهان يوماً ما إن لم يكن عاجلاً فأجلاً نتيجة هذا القرار الذي اتخذاه بإجهاض الطفلة و التخلص منها لعدم رغبتهم بها.

سيدتي ، عندما أعطى الله الوصايا العشر لموسى على جبل سيناء كان موضوع القتل واحدة من الوصايا إذ قال الله: لا تقتل. قد يقول قائل: نحن لم نقتل شخصاً كاملاً بل قضينا على جنين . هل الجنين نفس حية؟ بالطبع نعم، وعندما نتخلص من الجنين يعني أننا نقضي على هذه الحياة ولو كانت بعد في المهد. أليس كذلك؟ فهل تعلمين أن الله نهانا عن لأنه مكرهة عنده؟ اسمعي ماذا يقول سليمان الحكيم في أمثاله: هذه الستة يبغضها الرب وسبعة هي مكرهة نفسه. عيون متعالية لسان كذب أيد سافكة دما بريئاً.... (أمث ٦: ١٦ و ١٧)

فكيف نعصى وصية الله ونرتكب عملاً أحمق كهذا يا ترى؟ لقد أوضح لنا الرب يسوع المسيح في العهد الجديد ما يلي: قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. لقد تكلم الرب يسوع المسيح الفادي عن أساس المشكلة الذي هو الدافع الكامن لعمل كهذا. فقبل القتل هناك البغض والرفض والغضب، كل هذه تكمن في القلب قبل أن تظهر إلى الخارج. أليس كذلك؟ وفي حالة التخلص من الجنين الأنثى ألا يعكس هذا العمل يا سيدتي شيئاً كامناً في داخل الإنسان ألا وهو الكراهية أن تكون لديه بنت لأنه يريد ابناً ذكراً. أليس هذا ما يفكر فيه المجتمع الذكوري الذي أتينا منه نحن أيضاً؟ لذا فعندما تلد المرأة ابنة يتضايق الأب وتترجع الأسرة. فلماذا هذه الكراهية ولماذا هذا التمييز ولماذا هذا الغضب؟ ألم يخلق الله الإنسان بشقيه ذكراً وأنثى، على صورته ومثاله هو كسببه؟ فكيف يخطئ هذا الإنسان إلى الله برفضه عطيته له ويتخلص من الجنين الأنثى لمجرد أنه أنثى؟ أين العدل في هذا الموضوع؟ وأين الموضوعية في التفكير؟

حريّ بنا جميعاً على هذه الأرض في أي مكان كنا، أن نغيّر مفاهيمنا غير الصحيحة تجاه البنات. وحري بنا أن نتوب عن هذه الأعمال التي لا يرضى عنها الله تعالى البتة. ونطلب الغفران منه على أعمال الجسد هذه التي هي مكروهة لدى الرب، لأننا إذا لم نفعل فلسوف ننال عقابنا من الله إن لم يكن عاجلاً فأجلاً.
